الثاني قال لا تطلب مني حمدا يليق بجلالك ولا شكرا يليق بجمالك ولا معرفة تليق بحضرتك وعظمتك
فان ذلك لا يليق بذكري وشكري وفكري ولا طاقة لعبدك في جوامع امري ولما كانت للشريعة
مقدمة على الحقيقة قدم الجملة السابقة **ومنها ان الايمان مخلوق او غير مخلوق** اختلف
فيه مشايخ الحنفية فذهب اهل سمرقند الى الاول واهل بخارى الى الثاني مع اتفاقهم على ان
افعال العباد كلها مخلوقة لله سبحانه وبالغ بعض مشايخ بخارى فكفر واستحل قال بان الايمان
مخلوق والزموا عليه خلق كلام الله تعالى ونقلوا عن نوح بن ابي مريم عن ابي حنيفة ان الايمان
غير مخلوق لكن نوح عند اهل الحديث غير معتمد وعلل هولاء كون الايمان غير مخلوق بان الايمان
امر حاصل من الله للعبد لانه تعالى قال بكلامه الذي ليس بمخلوق فاعلم انه لا اله الا الله وقال تعالى
محمد رسول الله فيكون المتكلم بمجموع ما ذكر قد قام به ما ليس بمخلوق كما ان من قرا القران كلام
الله الذي ليس بمخلوق كما ان من قرا القران كلام الله الذي وهذا غاية متمسكهم ونسبهم مشايخ سمرقند
الى الجهل اذ الايمان بالوفاق هو التصديق بالجنان والاقرار باللسان وكل منهما فعل من افعال
العباد وافعال العباد مخلوقة لله تعالى باتفاق اهل السنة والجماعة قال ابن الهمام في المسايرة
ونص كلام ابي حنيفة في الوصية صريح في خلق الايمان حيث قال نقر بان العبد مع اعماله واقراره
ومعرفته مخلوق هذا وقد نقل بعض اهل السنة انهم منعوا من اطلاق القول بحلول كلامه
سبحانه في لسان او قلب او مصحف وان اريد به اللفظي رعاية للادب مع الرب لئلا يتوهم
ارادة النفسي القديم وقد حكى الاشعري ان ممن ذهب الى ان الايمان مخلوق حادث الحارث
المحاسبي وجعفر بن حرب وعبد الله بن كلاب وعبد العزيز المكي وغيرهم من اهل النظر
ثم قال وذكر عن احمد بن حنبل وجماعة من اهل الحديث انهم يقولون ان الايمان غير مخلوق
قال صاحب المسامرة ومال اليه الاشعري ووجهه بما حصل ان اطلاق الايمان في قول
من قال ان الايمان غير مخلوق ينطبق على الايمان الذي هو من صفات الله تعالى لان من اسمائه
الحسنى المؤمن كما نطق به الكتاب العزيز وايمانه هو تصديقه في الازل بكلامه القديم
واخباره الازلي بوحدانيته كما دل عليه قوله تعالى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني ولا
يقال ان تصديقه محدث ولا مخلوق تعالى ان يقوم به حادث انتهى ولا يخفى ان الكلام ليس
في هذا المرام اذ اجمعوا على ان ذاته وصفاته تعالى الازلية قديمة وان اعتبر هذا المبنى لا يصح
ان يقال الصبر والشكر ونحوهما مخلوق حيث ورد معانيها في اسماء الله الحسنى بل السمع
والبصر والحياة والقدرة وامثالها ولا اظن ان احدا قال بهذا العموم واوجب الكفر بهذا
المفهوم الموهوم لان صفاته سبحانه مستثناة عقلا ونقلا **ومنها ان الايمان باق
مع النوم والغفلة والاغماء والموت** وان كان كل منها يضاد التصديق والمعرفة حقيقة
لان الشرع حكم ببقاء حكمها الى ان يقصد صاحبهما الى ابطالهما باكتساب امر حكم الشرع بمنافاته
لهما فيرتفع ذلك الحكم خلافا للمعتزلة في قولهم ان الموت والنوم يضادان المعرفة فلا يوصف
النايم ولا الميت بانه مؤمن كذا ذكره ابن الهمام لكنه مخالف لما في المواقف عنهم انهم قالوا
لو كان الايمان هو التصديق لما كان المرء مؤمنا حين لا يكون مصدقا كالنائم حال نومه
والغافل حين غفلته وانه خلاف الاجماع انتهى فارتفع النزاع **ومنها ان ايمان المقلد الذي
لا دليل معه صحيح** قال ابو حنيفة وسفيان الثوري ومالك والاوزاعي والشافعي واحمد
وعامة الفقهاء واهل الحديث صح ايمانه ولكنه عاص بترك الاستدلال بل نقل بعضهم الاجماع على

ذلك

مطلب في خلق الايمان

مطلب ايمان المقلد صحيح

ذلك وعند الاشعري ان يعرف ذلك بدلالة العقل وعند المعتزلة ما لم يعرف كل مسئلة بدلالة
العقل على وجه يمكنه دفع الشبهة لا يكون مؤمنا قال القونوي عند المعتزلة انما يحكم بايمانه
اذا عرف ما يجب اعتقاده بالدليل العقلي على وجه يمكنه مجادلة الخصوم وحل جميع ما يرد
عليه من الشبه حتى اذا عجز عن شيء من ذلك لم يحكم باسلامه وقال الاشعري شرط صحة الايمان
ان يعرف كل مسئلة من مسايل الاصول بدليل عقلي غير ان الشرط ان يعرف ذلك بقلبه ولا يشترط
ان يعبر ذلك بلسانه وهنا وان لم يكن مؤمنا عنده على الاطلاق ولكنه ليس بكافر لوجود ما يضاد
الكفر وهو التصديق فهو عاص بترك النظر والاستدلال وهو في مشية الله كساير العصاة ان شاء
عفا عنه وادخله الجنة وان شاء عذبه بقدر ذنبه وصار عاقبة امره الجنة انتهى ولا يخفى ان
هذا مناف لما صدره من كلامه حيث جعل بشرط صحة الايمان فان اريد به صحة كمال
الايمان فهو موافق مع الجمهور في هذه المسئلة ثم الاظهر ما قاله ابو الحسن الرستغفني وابو
عبد الله الحليمي من انه ليس الشرط ان يعرف كل المسايل بالدليل العقلي ولكنه اذا بنى اعتقاده
على قول الرسول بعد معرفته بدلالة المعجزة انه صادق فهذا القدر كاف لصحة ايمانه وهذا
لا ينافي ما سبق من الجمهور على الحكم بعصيان تارك الاستدلال فيما يتعلق بالايمان على حسب
الاجمال واما الايمان وهو التصديق المامور به فقد وجد فينا الثواب بما وعد سواء وجد
منه التصديق عن دليل او عن غير دليل واما ما نقله القونوي من ان ابا حنيفة حين قيل له
ما بال اقوام يقولون بدخول المؤمن النار فقال لا يدخل النار الا مؤمن فقيل له فالكافر
فقال هم مؤمنون يومئذ كذا ذكره في الفقه الاكبر فليس بموجود في الاصول المعتبرة
والنسخ المشتهرة ثم قال ومعنى قول العلماء ان الايمان عند معاينة العذاب لا يصح انه لا
ينتفع اقول بل لا يصح لان المامور الشرعي هو الايمان الغيبي ثم التحقيق ان الاستدلال
ليتوصل به الى التصديق في المال فاذا وصل الى المقصود حصل المطلوب اذ لا عبرة لعدم
الذريعة والوسيلة عند حصول المراد من الفضيلة وتحقيقه ان الرسول عليه الصلاة والسلام
عد من امن به وصدقه فيما جاء به من عند الله مؤمنا ولم يشتغل بتعليمه الدلايل العقلية
في المسايل الاعتقادية وكذا الصحابة حيث قبلوا ايمان النبط والانباط مع قلة اذهانهم وبلادة
افهامهم ولو لم يكن ذلك ايمانا لفقد شرطه وهو الاستدلال العقلي لاشتغلوا ابدا امرين
اما بالاعراض عن قبول اسلامهم او بنصب متكلم حاذق بصير بالادلة عالم بكيفية المحاجة
ليعلم صناعة الكلام والمناظرة ثم بعد ذلك يحكمون بايمانهم وعند امتناع الصحابة
وامتناع كل من قام مقامهم الى يومنا هذا عن ذلك ظهر ان ما ذهبوا اليه باطل لانه خلاف
صنيع النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه العظام وغيرهم من الكرام على ان من اصحابنا من
قال ان المقلد لا يخلو عن نوع علم فانه ما لم يقع عنده ان المخبر صادق لا يصدقه فيما اخبره
وخبر الواحد وان كان محتملا للصدق والكذب في ذاته لكن متى ما وقع عنده انه صادق ولم
يخطر بباله احتمال الكذب وكان في الحقيقة صادقا نزل منزلة العالم لانه بنى اعتقاده على
ما يصلح دليلا في الجملة واما من لم تبلغه الدعوة وراه مسلم ودعاه الى الدين واخبره انه رسول
لنا بلغ الدين عن الله ودعانا اليه وقد ظهرت المعجزات على يديه وصدقه هذا الانسان في جميع
ذلك واعتقد الدين من غير تامل وتفكر فيما هنالك فهذا هو المقلد الذي فيه خلاف بيننا
وبين الاشعري بخلاف من نشا فيما بين المسلمين من اهل القرى والامصار من ذوي النهى والابصار

كلام

Copyright King Saud University